يخنق ما فيه من امكانات الخلق والابداع .
الوعي الذي كان ، منذ فلسفة ديكارت ، شاملا للحياة النفسية كلها ، خسر هذا المركز ، وابتداء من فرويد بشكل خاص ، اصبحنا ندرك أن الوعي يمثل فقط جزءا من هذه الحياة ، وأن الاجزاء الاخرى فيها غير متيسرة للملاحظة المباشرة . فهي كالجبل الجليدي المغمور تحتاج الى البحث والتنقيب في الكشف عنها .
العنف الثوري في خدمة انتماءات وولاءات جديدة تتناقض مع الانتماءات والولاءات التقليدية هو من اهم الادوات في ترويض هذه الاخيرة ، اضعافها ، تفتيتها ، واقتلاع جذورها ، وذلك لان الالتزام بهذا العنف هو التزام حياة وموت ، ولان ممارسته يوميا وبشكل كلي ، يبلور الذات تدريجيا في الانتماءات الجديدة، وبطريقة تقضي على الانتماءات القديمة ، لأن الانتماءات التي لا تحدد سلوك الفرد ، الانتماءات التي لا تعين مقاصده ، لا يمكن لها أن تعيش كمحرضات فعالة للسلوك .
الوعي المستقل يبرز نتيجة العثرات والصعوبات والازمات التي تجابه الناس والجماعات المختلفة في حركة تفاعلها مع الخارج والآخرين . العنف الثوري الذي يعالج هذه العثرات والصعوبات والازمات يشحذ الفكر ويوقظه ، يحرك حس الملاحظة والذاكرة ، يرهف حاسة الخلق ويحرض على الابداع ، يهزنا من ركودنا المشابه لركود الغنم ، وهو الشرط للوعي .
العنف الثوري ضروري في تحرير العربي من ذاته المهلهلة الفضفاضة ، وممارسته ضد الطبقات المستغلة ، والانظمة البالية ، والاستعمار ، والاحتلال ، كان ولا يزال يمثل صعيدا انسانيا يعلو فيه الانسان على وضعه ، ويتجاوز فيه ذاته . المساهمة فيه يوفر لمظلومي الارض فرصة يؤكدون فيها شخصيتهم ، كرامتهم ، وانسانيتهم الكاملة التي نزعتها عنهم قوى الاستبداد والظلم . انه الاداة التي تعطي هؤلاء حق المشاركة في المجتمع ، حق دخول المواطنة التاريخية الصحيحة . العنف الثوري يلزم صاحبه كيانيا بقضية ثورية ، وعن طريق هذا الالتزام ينهي علاقته بحياته والتزاماتها السابقة . في ممارسته يولد ثانية ، وبه يتخذ موقعه الصحيح في عالم الانسان الجديد .
المفهوم النفعي والليبرالي الذي يرى أن المحرك الاول للسلوك الانساني هو المصلحة الفردية ، مفهوم فاشل في الكشف عن معنى وحركة التاريخ ، لان هذا التاريخ يفرز انجازاته الذروية والأوجية في تلك الاوضاع التي يستطيع فيها الانسان تجاوز منافعه الشخصية فيقبل على التضحية بها في سبيل منافع ومقاصد مجموعية وشمولية . ما يميز سلوك الانسان بشكل خاص هو القدرة على التضحية بالمصالح الفردية ، في تأجيل مصالح آنية بسبب التزام بمقصد عام يكرس الحاضر للمستقبل ، والذات الفردية لحقيقة عليا . فالانسان الذي يستطيع أن يعبر عن مقاصد ومصالح جماعية عامة هو فقط الانسان الذي يستطيع أن يساهم في بناء الانسان ، وفي تحديد قدر التاريخ .
معركة تحرير فلسطين هي من اهم هذه الاوضاع في التاريخ العربي ، وقد تكون اهمها على الاطلاق . انها توفر فرصة فريدة في دعوة الانسان العربي الى تفجير طاقته ، والى بلوغ ذروته الانسانية عن طريق العنف الثوري . الحل السلمي يبتر هذه الفرصة ، لانه يعيد العربي الى وضعه اليومي الرتيب المعذب الاليم ، لذلك وجبت مقاومته لان المقاومة تعني حماية ورعاية وتغذية طريق ينفتح أمامه كي يحيا انسانيته ويمارسها في أجلى وأنبل ما يمكن أن تنطوي عليه من طاقة . فكي يمكن للعربي ان يتجه بعزم حاسم، بكل امكاناته وزخمه نحو مصير جديد ، يحتاج الى الخروج من الحياة التقليدية ، ومن مهانة الاحتلال والاستعباد ، يحتاج الى الخروج من ذاته نفسها واتخاذ قاعدة لسلوكه وحياته في حقيقة خارجية عليا . العنف الثوري الذي تفرضه معركة تحرير فلسطين ، بوجهها القومي والانساني والاخلاقي النبيل ، يوفر هذه الحقيقة ، يوفر هذه الطريق .
العنف الثوري ضرورة ليس فقط لان معركة التحرير تفرضه ، أو لان الاستعباد يزيد